إشكالية معالجة المصطلح في الترجمة

د. بن معمر بوخضرة
جامعة تلمسان (الجزائر)

ليس المصطلح سوى خلاصة مصغرة لعلم أو حقل معرفي، فرغم صغر المصورة التي يبدو فيها إلا أن في ذلك الحجم معرفية " تنوب عن عشرات الكلمات اللغوية الغائبة التي من شأنها أن تعـرف المفهـوم المعرفـي المرجو تقديمه " [1]، وعليه فإن وضع أو ترجمة أي مصطلح لأي حقل معرفي يتطلب جهدا وتفكيرا كبيرين وذلـك حتى يستطيع هذا التعبير المصغر المتمثل في المصطلح من الإلمام بجميع الجوانب المعرفية والخصائص المنهجيـة التي يكتسبها ذلك العلم أو تلك الجزئية من العلم . فكل مصطلح يجب أن يخضع إلى مواصفات خاصة تختلف كثيرا عن المواصفات التي تخضع إليها الكلمة الاعتيادية . فعلى واضع أو ناقل المصطلح أن يحمله نبرة خاصة مميزة " تجعله يصنف بحكم موقعه المعرفي الاستثنائي في خانة ما يؤخذ بعين الاعتبار وذلك وضع يقضي حقا مواصـفات خاصة"[2] .

إن معالجة موضوعنا هذا تحت هذا العنوان " **إشكالية معالجة المصطلح في الترجمة**

" تقتضي منا أولا تحديد بعض المفاهيم قبل الخوض في صلب الموضوع ومنها مفهوم " **الإشـكالية** " فحسب قاموس لاروس فإنه يفسر الإشكالية بالقول :

Le petit Larousse < PROBLE :ATIQUE ensemble des question
qu, Une science ou une philosophie peut valablement poser en fonction de ces moyens de son objet d, étude et de ces points de vue >

أي : هي مجموعة أسئلة التي يحق لكل علم أو فلسفة طرحها تبعا للوسائل التي يملكها وموضوع دراسـته ووجهات نظره وهذه هي الترجمة الحرفية لمفهوم الإشكالية الواردة في معجم لاروس . [3] أما الباحث العربي فحدد مفهوم الإشكالية بقوله " هي القضية التي تجمع بين متناقضات " [4] وعبر عنها الدكتور جلال الدين سعيد بأنها " صفة لما هو مشبه ويقرر دون دليل كاف فيبقى موضوع نظر "[5] . أما منذر عياشي فجعل الإشكالية علما سـماه " علـم طرح المشاكل "[6] وعرف الإشكالية بقوله هي " مجموعة المسائل التي يطرحها علم من العلوم في سياق إيديولوجيـة معين أو هي تعتبر عن كشف علمي كبير أو عن قطيعة " [7] تلك إذن بعض من الواقف المتعددة التي وقف عنـدها الباحثون محاولين فهم الإشكالية . أما الغاية التي دفعتنا لجرد هذا الكم من المفاهيم حول الإشكالية هي تيقننا من أن هذه المسألة تبقى مجد آراء قابلة للنقاش والبحث باعتبار أن ما قيل في معالجة إشكالية المصطلح هو محل جـدال كبير في مختلف التوجهات و النظريات في حقل اللغة و اللسانيات و الترجمة.

والأمر الثاني الذي نود الحديث عنه في هذا العنوان هو أن المصطلح كما هو معروف يعد نواة النص ، فعند تعاملنا مع مادة نصـية نرغـب فـي ترجمتهـا نجـد أنفسـنا نتعامـل مـع مفـردات متناسـقة مـع بعضـها

البعض لينتج في الأخير معنى للنص المراد ترجمته . وكما هو معروف فإن المصطلح يتغير بتغير السياق أو بتغير الحقل الدالي الذي يوجد فيه لذا يعد هذا أكبر العوائق التي يصادفها المترجم أثناء القيام بعمله وعلى ضوء الحديث السابق فقد حددنا في هذه المداخلة الفرضيات التالية :

1-إن الترجمة ثابتة و المصطلح هو الذي يعطيها هذه القيمة

2-أن الحديث عن المصطلح في الحقل الترجمة يربطنا بجميع حقول المعرفة دون استثناء أو تمييز

3- الفرضية الثالثة هي أن اللغة المترجمة إليها أو منها – هي اللغة العربية – قاصر عن مجاراة اللغات المترجم منها أو إليها أيضا – نقصد اللغة التي تحتوي على المصطلحات الأصلية – نظرا للسيل العرم من المصطلحات الجديدة المترابطة بالتطور السريع في المعارف الإنسانية ، إذ لا يوجد تناسب أو تطابق بين عدد المعاني و عدد المصطلحات التي تعبر عنها ، فعدد الجذور في أية لغة لا يتجاوز الآلاف في حين تبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين وهي في ازدياد واطراد مستمرين .

وعلى ضوء هذه المعطيات قسمنا هذه لمداخلة إلى أربع محاور هي الآتية :

- **مشكلة الحاجة إلى المصطلح**
- **مشكلة التنظير لوضع المصطلح**
- **مشكلة الاتفاق في توحيد المصطلح**
- **إلى أي حد يقبل المصطلح في ثقافة لغة الهدف ؟**

1- مشكلة الحاجة إلى المصطلح :

إن التطور الذي تعرفه الدراسات اللغوية في هذا العصر تتطلب رسم حدود فاصلة بين الحقول المعرفية ، وهي حدود لا يمكن رسمها إلا بوضع مصطلحات تميز كل حقل عن غيره ، فقط يجب أن يكون هذا المصطلح شاملا لجميع جانب هذه الدراسة أو تلك أي يجب أن يمثل الصورة العاكسة لمحتوى الدراسة و مناهجها و خصائصها .ونظرا للظروف التي تعرفها اللغة العربية في هذا العصر إذ هي في موقف ضعف اعتماد على معايير الابتكار والإبداع فإن ذالك يضرها في كثير من الأحيان إلى الاقتباس ما يفيدها لرسم هذه الحدود من خلال تلك المصطلحات المقتبسة من لغات كان لها قصب السبق والصدارة في مجالات التكنولوجية و العلمية و الفكرية و الفلسفية ، و بالتالي فإن أغلب الثروة المفرداتية تأتي من خلال الترجمة . وعلي يمكن القول أن المعجم العربي المتخصص مازال في مرحلة النشوء وهو في طريق التكوين لأننا عندما " نستقرئ واقع المصطلح العربي نجده فعلا يتجه إلى خارج اللغة العربية في الترجمة أكثر مما يتجه إلى التوليد من الداخل " [8] ففي الحقل اللساني مثلا نجد بأن المصطلحات النحوية و البلاغية غلبت عليها العفوية و الارتجالية و التي ترتب عنها نتائج سلبية منها الاضطراب و الفوضى في وضع المصطلح " [9] كما ترتب عن هذه العفوية أو العشوائية في تحديد المصطلحات سجال فكري نقدي جعل بعض الأقلام

تصف الخطاب الأدبي النقدي بالمنغلق وترجع سبب انغلاقه إلى ذلك الإبهام الذي لازم المصطلح اللغز – حسب رأي منتقديه – الذي عوض أن يكون مرآة عاكسة لحدود الحقل المعرفي ومناهجه و خصائصه أصبح في حد ذاته إشكالا يحتاج إلى أن تفك شفراته .ومن الدين وقفوا في وجه هذه الألغاز – المصطلحات المبهمة – الدكتور حلمي هليل الذي يؤكد : أن المصطلحات اللسانية " أصبحت تشكل عبء كبيرا على الدراسة الأكاديمي المبتدئ

والمتقدم " [10] فهو يعلم أن أول عقبة تقف في الوجه الباحث مهما تقدمت دراساته هي المصطلحات التي عــوض أن تكون عاملا مساعدا على الإسراع في وتيرة البحث العلمي أصبحت نفسها العائق الذي يجب تجاوزه بفك لغز وهذا ما يؤدي أحيانا إلى تأخير البحث إن لم يكن سببا في نفور الباحث المبتدئ ، ولقد كان بالإمكان تجاوز هذه العقبات لو لا تلك العشوائية أو العفوية التي لازمت المصطلح أثناء وضعه أو ترجمته . كما أرجع بعضهم هذه الفوضـــى و الاضطرابات التي تصاحب المصطلح في النقد العربي الحديث إلى حداثة الدراسات اللسانية عند العــرب وبالتــالي فذلك –عندهم–أمر طبيعي حتمي يصاحب جل العلوم وهي في مرحلة إرساء القواعد والأسس –أي بداياتها–ففـــي هذه المرحلة يمر المصطلح "بفترة تأرجح و غموض تؤدي إلى ترادف و خلط كبيرين"[11]وقد أكد حميد الحميداني هذا الطرح حين رأى بأن "الدراسات الجديدة " لا تزال تعاني من مشكلة تأسيس "المصطلحات الثابتة "[12] ولمــا عمــت العفوية واستفحلت الفوضى في التعامل مع المصطلح أصبحت الحاجة ماسة إلى قيود نظرية ومنهجية لتوليد وتوالــد المفردات .

2– مشكلة التنظير لوضع المصطلح: (الشروط والعوائق)

عادة يقيد المصطلح قبل وضعه أو ترجمته بمجموعة من الشروط .فالمصطلح تعبير يتميز عن غيره مــن الألفــاظ العادية – كما سبقت الإشارة إليه – ولذلك يجب أن يكوم " ذلقا خفيفا على لسان المتلفظ واصح المفهوم أحادي الدلالة دقيقها ،موصل الدلالة الاصطلاحية بالدلالة اللغوية وأن يرعى خصائص البنية الصوتية للغة مع إمكانية للصــيغة و الموازين الصرفية القياسية المتعارف عليها حتى يسهل إدراك دلالة العامة من خلال الصيغة الصرفية المجردة "[13] . هذه بعض شروط وضع المصطلح أنا إذا تعدى الأمر إلى الترجمة فيضاف إلى ذلك شروط أخــرى منهــا علـــى المترجم أن يعمل على تكافؤ المصطلحين وإذا تعذر عليه لجأ إلى التطويع (أي التعريف) إلا أن هذه العملية تواجه العديد من العوائق منها :

- **<u>العائق الصوتي</u>** : إن الأنساق الصوتية غير متكافئة بين العربية واللغات الأخرى

فبين العربية والفرنسية مثلا : نجد أن الفرنسية لا تتوفر على الخاء– الحاء العين – القاف ، وفـــي المقابــل لا تتوفر العربية على حروف مثل : G/P/V المعربة إلى ب– ق–ج

<u>العائق النحوي</u> : نجد أن الكلمة في اللغة العربية إما فعل أو اسم أو حرف إما عنــد الغــرب فتختلــف المسميات فيقولون : Adverbe ou Conjonction Préposition ou كما نجد عدة أمور تحدد الفعــل مثــل Voix – le Mode – l'Aspect :

- **<u>العائق الصرفي</u>** : الصرف في اللغة العربية هو غير سلسلي (اشتقاقي) في حين أن الفرنسية تتألف من الجذور والسوابق واللواحق – أي préfixes et Suffixes –
  مثال :

Mobile – Mobiliser – Immobiliser – Mobilisation

أما العربية فالاشتقاق فيها داخلي غالبا ما يحدث تغير في صيغة الجذر أو الاشتقاق مثل : ضرب – مضروب كل هذه الفروق أدت بالمترجم إلى وضع المصطلح بطريقة عفوية لا تقترن بمبادئ منهجية دقيقــة وقــد أدت هــذه الحالة إلى كثير من النتائج السلبية في مقدمتها الاضطراب

4

والفوضى في وضع المصطلح وعدم تناسق القابلات المقترحة للمفردات الأجنبية وهي بإتباع الطرق التالية :

أ- **التعريب** : وتعليق باستعارة كلمة أجنبية وإدخالها في قالب عربي حتى تكون ثقيلة على اللسان والأذن العربية ذلك بإخضاعها إلى الميزان الصرفي العربي مثل لفظ : برنامج – programmer – التي أصبحت قابلة للاشتقاق حسب الصيغة العربية مثل : برنامج – programmé – مبرمج وعلى العموم فإن التعريب ظاهرة قديمة في العربية إذ نجد الكثير من الكلمات تم تعريبها مثل" ديوان – دولاب – هندسة وغيرها "

ب – **الترجمة** : وهي نقل اللفظ الأعجمي بمعناه إلى ما يقابله في اللغة العربية وهنا نجد بعض المصطلحات مثل لفظ راديو الذي يستعمل أكثر من استعمال الفظ المعرب مذياع (اسم آلة على وزن مفعال نشتق منه :ذاع – مذيع – إذاعة

ت – **النحت** : وهو انتزع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون هناك تناسب في اللفظ و المعنى بين المنحوت والمنحوت منه مثل : كهرو حراري التي تدل على الكهربائي و الحراري أو الزمكاني التي تعني الزمان والمكان .

1–ولا يعني أن التزام هذه الشروط والقواعد وتجاوز تلك المعيقات والعراقيل كافية لأن يكسب المصطلح مكانته و وجوده ضمن باقة المصطلحات . بل إن حياة واستمرارية أي مصطلح من المصطلحات في أي حقل من حقول المعرفة مرهونة بمدى تقبله ودرجة استعماله وشيوعه – كما سبق ذكره – فهناك من المصطلحات من ولد ميتا وهناك من كتب له النجاح واستمر معمرا إلا أنه التزم في وضعه قواعد الوضع أو النقل كما أنه اكتسب رضا فشاع بين الألسن وعلى ضوء هذا الشيوع عدمه وتلك الاستمرارية أو القطيعة و الرفض بنى المعجم العربي درجات السلم الذي ربه قاس وحدد أنواع المصطلحات فجاءت هذه المستويات على الشكل الآتي [14]: المصطلح المفضل : Terme à Employer de Préférence وهو الذي ينصح باستعماله في مواصفات قياسية معينة

2–المصطلح المقبول : Terme Toléré وهو المصطلح يسمح باستعماله في سياق ما مرادفا للمصطلح المفضل

3–المصطلح البديل : وهو كل المصطلحات التي ليست بالسيئة تماما والتي لا تقل الحاجة إليها وينبغي التخلي عنها بالتدرج

4–المصطلح المستهجن : Terme à Eviter وهو المصطلح الذي ينبغي تجنبه في ذلك السياق .

3– مشكلة الاتفاق في وضع المصطلح :

إن ترجمة المصطلح –على قلتها –على مستوى العالم العربي فهي غير موحدة ويرجع ذلك إلى عوامل سوسيو– ثقافية فالمشرق العربي يتصل بالغرب عن طريق اللغة الفرنسية .وحتى نؤسس منظومة تشريعية لتوليد المصطلحات لابد أن نحكم هذه المنظومة بمجموعة من الضوابط منها:

أ- تغيير النظرة إلى الترجمة ،إذ يجب النظر إليها من زاوية لغة الهدف –أي المتلقية–لا لغة المصدر –أي المترجم منها–فعلى المترجم أن لا يحرص على معنى المصطلح الأجنبي و جذوره التاريخية.

ب- هناك حدود لا يجب أن تتداخل بين المترجم وعالم الاصطلاح فالغرب قد أدرك منذ البداية هذه المشكلة فسعى إلى توحيد مصطلحات كل علم من العلوم نظرا لأن الجهود في وضع المصطلحات كانت فردية ،ومن أجل تسيير الاتصال بين الباحثين فقد دفع ذلك إلى التنسيق بين الدول الأوروبية فتمخض عن ذلك انعقاد مؤتمرات منها:

- مؤتمر علماء النبات 1868

- مؤتمر علماء الحيوان 1889

مؤتمر الكيمياء 1892

ولتأكيد الاختلاف الحاصل حين الترجمة إلى العربية بين المشارقة والمغاربة نذكر الأمثلة التالية [15]:

Ordinateur ou computer =حاسب إلي–حاسوب الكتروني –حاسوب–عقل الكتروني.

Téléphone portable=هاتف جوال–هاتف محمول–هاتف نقال–موبييل.

Double articulation=ازدواجية التمفصل–التلفظ المزدوج–التقطيع المزدوج.

ونفس الخلاف نجده في ترجمة عنوان كتاب فرديناند دي سوسيير:

Cours de linguistique générale.

فقد ترجمه محمد عجينة و صالح القرمادي إلى:دروس في الألسنية العامة.

وترجمه أحمد نعيم الكراعين إلى:فصول علم اللغة العام

وترجمه يوسف غازي ومحمد نصر إلى:محاضرات في الألسنية العامة.

5- المصطلح و ثقافة الغير:

إضافة إلى ما سبق ذكره فان المصطلح يعاني من معوق أخر وهو معوق يتحفظ على نقل المذاهب الأوروبية أو المصطلحات الغربية إلى العربية و تقديمها بصورة مطلقة خالية من أي اعتراض أو نقد مما يجعل تلك المذاهب والمصطلحات و كأنها وحدها في مجالها.وهذه الفئة المتحفظة ترى أنه رغم إخلاص الباحث العربي للحقل المعرفي الذي نقل منه مصطلحه فانه لا يعنى بتأصيله في الفكر والنقد العربيين مما يعطي الانطباع بانفراد المصطلح و جدته بل و فقدان أصوله في الموروث العربي،تلك إذن صورة ناقمة على المثقف العربي الذي يسعى وراء نقل المصطلح أو المعرفة العلمية دون تأصيلها.ولقد أدى هذا التوظيف الاصطلاحي المضطرب غير المؤصل إلى تشاؤم بعض النقاد العرب وغدا بالنسبة إليهم هذا"الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي آفة فاشية يعاني منها النقد العربي معاناة قاسية"[16].ونتج عن هذا الاضطراب في وضع المصطلحات أو نقلها إلى ظهور فئة من النقاد تدعو 'لإيقاف قطار النقد الجديد لأن الفوضى من أمامه والفوضى من ورائه " [17] بل أن صاحب المرايا المحدبة والمرايا المقعرة الدكتور عبد العزيز حمودة وقف موقف الرافض إذ يقول "حينما ننقل نحن الحداثيين المصطلح النقدي الجديد في عزلته عن خلفيته الفكرية والفلسفية فانه يفرغ من دلالته ويفقد القدرة على أن يحدد معنى،فإذا نقلناه بعوالقه الفلسفية أدى إلى الفوضى والاضطراب ،إذ أن القيم المعرفية القادمة من المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا مع القيم المعرفية التي طورها الفكر العربي المختلف"[18] و يزداد التشاؤم حين يتعلق الأمر بالمصطلحات الخاصة بالعلوم الإنسانية فقد ينسى المترجم أو يتناسى ما تنطوي عليه تلك المفردات من عمق تاريخي وفكري يستدعي التريث والتعامل معها بنوع من الحذر .وذلك لأنه ليس من السهل اقتلاعها من جذورها ،وقد تفطن الناقد الأمريكي ج هلس ملر G-H-MILLER إلى ذلك حين جاء في مقالة نشرت له تحت عنوان "اجتياز حدود الترجمة النظرية"والتي ضمنها كتابه:"قابلية الثقافات للترجمة "قوله :إن ثمة مفردات في الثقافة تستعصي على الترجمة .. لأن تلك المفردات لها تاريخ طويل ضمن الثقافة الغربية ومن غير الممكن فصلها عن ذلك التاريخ"[19] وهو يريد القول بأن الترجمة في هذه الحالة يجب أن تكون بطريقة إعادة توظيف على نحو يلغي الدلالة أو الدلالات الأصلية.وكمثال على ذلك نتتبع ما جاء في معجم مصطلحات علم الاجتماع لصاحبته سميرة نجيب السيد فإنها تقدم للقارئ عددا من

المصطلحات المهمة في علم الاجتماع لكنها لا تقوم بأي نوع من التقييم الثقافي لما تقدمه من المعرفة فغلبت الترجمة والتلخيص على اتخاذ المواقف مع العلم أن علم الاجتماع بالغ الخطورة وواقع في صلب الاختلافات الثقافية .وفي مثل هذه الحالات التي يتعامل فيها المترجم مع مصطلحات لها أبعاد تاريخية ثقافية عليه أن يتخذ لنفسه مقعدا خلفيا ويترك القيادة للفكر الوافد إيمانا بدقته وتناسبه لكل زمان ومكان. أما سامي خشبة صاحب معجم مصطلحات فكرية فانه يتخذ الحيطة والحذر في تعامله مع هذه المصطلحات فإننا نجده يطرح أراء وانتقادات لكثير من المصطلحات الفكرية الجديدة كمصطلح التنوير والانتروبولوجيا.

ففي حالة التنوير وتاريخه عند العرب فيشير إلى أن التنوير في مصر وربما في العالم الثالث كله دلالة تقترن بالنزعة القومية من جهة وبالحركات الوطنية من جانب آخر .وهنا تتضح السياقات الثقافية الفكرية الضرورية لمعرفة أبعاد المصطلح الدلالية وعدم تركه عائما في عالمية تنفي خصوصية الثقافة.

الخاتمة:

إن هذه الجهود البحثية في حقل المصطلح وعلاقته بالترجمة تبقى ناقصة ،إذا لم يتم معالجة الإشكالية من جذورها أساسا والمتمثلة على وجه أخص في تعريب الثقافة العلمية والتي بدورها تدعو إلى تعريب المثقف من أهل الاختصاص والزيادة في القدرة التعبيرية لمستعملي اللغة حتى يتمكن المثقف العربي الحضور في مجالات الثقافة و العلوم ولعل أن هذه المسؤوليات منوطة باللساني أكثر من غيره لأنه لا يسأل عن مصطلح ميدانه فحسب بل يتقاسم مسؤوليات أي أخصائي في وضع المولد الجديد في حقله.

الهوامش والإحالات:

1- إشكالية المصطلح يوسف وغليس منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت-ط1/سنة 2008 ص 69 .
2- نفسه ص 64 .
3- لاروس الصغير 810 LE PETIT LAROUSSE ILLUSTRE1894 PAGE لا.
4- المصطلحات الأدبية الحديثة مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية الإعلامية للنشر لونجمان ط/1996 ص8.
5- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية جلال الدين سعيد دار الجنوب للنشر تونس ط/1998 ص427 .
6- الكتابة الثانية و خاتمة المتعة ألد منذر عياشي المركز الثقافي العربي -بيروت ط/1998 ص 113 .
7- نفسه ص 394.
8- اللسانيات واللغة العربية عبد القادر الفاسي الفهري منشورات عويدات بيروت /باريس ط1986/1 ص393.
9- المرجع نفسه ص 393.
10- دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني في الوطن العربي للدكتور حلمي هليل ص 287
11- اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال نماذجه توفيق الزايدي الدار العربية للكتاب تونس /ليبيا ط/1984 ص 15 .
12- الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي حميد لحمداني الشركة الجديدة دار الثقافة الدار البيضاء ط1985/1 ص 12
13- إشكالية المصطلح ص 70.
14- -ينظر مفردات علم المصطلح ص222 وينظر إشكالية المصطلح يوسف وغليسي ص70(بتصرف).
15- علم النص ونظرية الترجمة للدكتور يوسف نور عوض .
16- شعرنا القديم والنقد الجديد للدكتور وهبة رومية عالم المعرفة الكويت ط/1996 ص 40.
17- إشكالية المصطلح يوسف وغليسي ص 55.
18- المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك للدكتور عبد العزيز حمودة عالم المعرفة الكويت 2001 ص 63.